المرحلة الثالثة / الدراسة المسائية

اسم المادة / فلسفة التاريخ

عنوان المحاضرة : العامل البطولي

اسم التدريسي/المدرس ثائر سلمان فيصل

2025-2026

المحاضرة : العامل البطولي

البطل جمعها أبطال، وهي صفة تدل على الثبوت عند المصائب والأزمات، وتعد فكرة البطل في التاريخ من النظريات التي ترجع جذورها إلى الفلاسفة والمفكرين اليونان والرومان واهتموا بها.

وهي من العوامل الأساسية والمؤثرة في حركة التاريخ، فهناك خلاف (جدل) يدور بين فلاسفة التاريخ الحديث حول صنع الأحداث التاريخية؛ هل هم الأفراد (البطل) أم المجتمع الذي هو أرضية فعل البطل وقاعدة انطلاقهُ في صنع وتغيير الأحداث التاريخية.

فالبطل يكمن في حاجة الأمة أو المجتمع في الظروف والأزمات الصعبة كقائد عسكري أو سياسي أو مصلح اجتماعي أو اقتصادي يقودها ويكون أثرهُ واضح في تغيير الواقع الذي يعيشهُ الشعب وتحسين وضعه نحو الأفضل ونقلهُ من حالة التخلف والحرمان إلى حالة التقدم والأمان.

فالقائد العسكري الذي يحقق نصراً أو انقلاباً في المجتمع هو بطل في نظر شعبه، كذلك المفكر أو المصلح الاجتماعي أو الاقتصادي أو السياسي أو الفيلسوف أو الأديب أو الفنان أو العالم الذي يحاول أن يغير وضع مجتمع وأسلوب معيشتهُ نحو الأفضل هو بطل في نظر ذلك المجتمع.

وخير مثال الرسل والأنبياء الذين نقلوا وضع المجتمع الذي هم فيه من حالة الاستبداد والوثنية والظلم إلى العدل والحرية والمساواة وسيادة القانون الإلهي وهم في نظر مجتمعاتهم أبطال.

ويعد توماس كارليل (اسكتلندي) من أبرز المتبنين العامل البطولي في تفسير التاريخ وفي نظرهُ يعد التاريخ قبل كل شيء سيرة عظماء الرجال من ذوي القوة والسلطان، ومن مؤلفاتهُ (الأبطال وعبادة البطل) وأن مفهومهُ للبطل أنه صانع التاريخ، والبطولة لها أشكال متعددة كالعباقرة والعظماء وأهمها إله معبود – أي البطل في صورة نبي كالرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)، كذلك بطل في صورة شاعر (دانتي وشكسبير)، والبطل في صورة كاتب مثل (جان جاك روسو)... الخ.

فهناك علاقة بين البطل وسائر الناس تعرف بالولاء (الجانب الروحي والديني) وهي علاقة أزلية على مر العصور، فهؤلاء الأبطال (العظماء) هم صانعو التاريخ وهم الذين يقفون وراء تحريك الأحداث وتفعيلها، وهذا يدل بوضوح مدى قوة الحتمية التاريخية التي تبناها كارليل في تفسير التاريخ تقوم على الاختيار الإلهي للبطل وتأديتهُ للرسالة السماوية (العناية الإلهية)– أي أن الله سبحانهُ وتعالى ارسلهُ للناس، فضلاً على ما يتحلى به البطل من شجاعة وقدرة ذاتية تؤهلهُ للقيام بدورهُ على مدى العصور.

وقسم يرى أن المجتمع بطبقاتهِ وبأجمعهِ هو المحرك للتاريخ، وما يقوم بين هذه الطبقات من تآلف وترابط وصراع وتنافر هو المحرك الأول للتطور التاريخي، وخير مثال (أرنولد توينبي) يرى أن حركة التاريخ لها اتصال وثيق بالأفراد (الأبطال) والمجتمع هم الفاعلون الأساسيون في عملية توجيهها _أي هم مصدر الفعل الحركي للتاريخ، وأن الأفراد الذين يتكون منهم المجتمع هم مصدر الفعل بأسرهِ.

فالمجتمعات الأوروبية في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي ومطلع القرن العشرين كانت مجتمعات ديمقراطية باتت تخشى من عامل البطولة وتربطها بالاستبداد والدكتاتورية (الزعماء – الحكام) فينظرون إليهِ نظرة ريبة وحذر(إدراك خطورة الفكرة)، فيقومون بتحجيم دورهُ في حياتهِ وتكريمهِ بعد موتهُ، وأخذت هذه الفكرة البطولية تتلاشى في المجتمعات الغربية ولم تعد هذه النظرية تساير الزمن.

ويرى فولتير أن البطولة ليست فقط في أعمال الملوك والقادة بل حتى الأعمال النافعة من العلماء والفلاسفة لأنهم مقياس العبقرية التي ينظر إليها عن غيرهِ بمقدر استفادة الناس منها أو المجتمع من هذه العبقري، والبطل عنده نوعان:

1_ رجل الأحداث: هو الشخص الذي أدت أفعاله إلى تغيير وضع مجتمع من خلال الأحداث التي مرت بهِ إلى وضع أفضل.

2_ رجل صانع الأحداث: هو الشخص الذي صنع الأحدث بقوة عقلهِ وذكائهِ وقوة شخصيتهُ والاقرب إلى أن لا يكون بطل وهذه هي صفات البطل.

ويرى الفارابي أن فكرة الأبطال تتجسد في التاريخ على أنهُ من صنع الأفراد (الأبطال) كونهم هم الذين يؤثرون في الشعوب أو المجتمعات، والأبطال هم الذين يرفعون شعوبهم من الانحطاط إلى الازدهار وصدارة الأحداث التاريخية، ولا ننسى العامل الوراثي الذي له دور كبير في شخصية البطل بنسبة أكبر من البيئة التي يعيش فيها الفرد.

أما البطولة في العصر الجاهلي: على الرغم من الظروف القاسية التي عاشوا فيها العرب إذ كانت لهم صفات كثيرة وقيم أخلاقية نبيلة سائدة في ذلك العصر، كالشجاعة، والصبر على الشدائد، والكرم، والوفاء وحماية الجار، والتضحية والفداء وإجارة المستجير، والأخذ بالثأر، وحماية القبيلة، فضلاً عن ذلك أن يكون مثار إعجاب وحسن وذو حسب ونسب من أصل عربي، فكانوا يغيرون على بعضهم وكل واحد منهم يعد نفسه بطلاً وفارساً.

فالبطل لا يمكن أن يتحقق أو يظهر بمعزل عن المجتمع الذي هو وعدةُ وعتادهُ، فالرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم) جمع بسياستهُ الدينية والدنيوية كل صفات البطولة.